الصِنْفُ الثامن مِن أسماء الله الحسنى
التي تعود إلى صفات الحمدِ والتمجيد

مقدمة

لمّا كان اللَّهَ سبحانه هو المُتَّصِفُ وحْدَهُ بما سبق مِن صِفات الذات، وصفات التنزيه، وصفات الأفعال، وكُلُّها في نهاية المجد والعظمة، والعُلُوّ والكبرياء، وفي غاية السيادة والشرف والكرم، لمّا كان اللَّهُ سبحانه كذلك، فهو الذي يَسْتَحِقُّ وحدَهُ مُنْتَهَى الحمدِ والثناءِ عليه، بالعظمةِ والجَلالِ، والعلُوّ والكبرياء، وهو الذي يَسْتَحِقّ التَمجِيدَ بمُنْتَهَى السُؤْدَدِ، والشَرَفِ الحقيقي.

ومِن هنا جاء في المأثورِ مِن أسماء الله ثلاثةَ عَشَر اسماً وهي: (الكبير، المُتَكَبِّر، العَلِيّ، المُتَعالِي، الجليل، العظيم، الكريم، الماجد، المجيد، الحَسِيب، ذو الجلال والإكرام، الصمد، الحميد). وفيما يلي شرح هٰذه الأسماء.

64 ـ الكَبِيرُ

معناه

مأخوذ مِن الكِبَر، وهو ضِدُّ الصِغَر، واللَّهُ هو الكَبيرُ كما وصف نفسه تعالى الذي لا نهايَة لِكِبَرِهِ؛ لأنه هو الكامل الواجِبُ الوُجُودِ لِذَاتِهِ، وما عَداهُ مَوْجُودٌ بإيجادِ اللَّهِ له، ولأنه سبحانَه هو الغنيُّ عن كل شيء، وما عَداهُ في حَضِيضِ النَقْصِ والافْتِقَارِ، ولأنه سُبْحَانَه هو المُحِيطُ بكل شيء عِلْماً، ولأن قُوَّته سُبْحَانه أكبَرُ مِنْ كُل قُوّة.

واللَّهُ هو الكبيرُ؛ لأنه أكبرُ مِن أنْ تشاهِدَه الحواسُّ أو تُدْرِكَ حقيقة ذاتِهِ العُقولُ. قال الله تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: 62].

وقد ورد هٰذا الاسم في سِتّة مواضع من القرآن الكريم.

أقوال العلماء في تفسيره

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في «المقصد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (الكَبيرُ: هو ذو الكِبْرِياء، والكِبْرِياءُ: عِبارَةٌ عَن كمال الذات، وأعني بكمال الذات: كمالَ الوُجودِ، وكمالُ الوجود يرجع إلى شَيْئَيْن:

(أحدهما): دوامُه أَزَلاً وأبداً، وكل مَوْجُودٍ مَقْطوعٌ بعَدَم سَابِقٍ، أو لاحِقٍ فهو ناقِصٌ. ولذلك يُقالُ للإنسان إذا طالت مُدَّة وُجُودِهِ: إنه كَبِيرٌ، أي كبيرُ السِنِّ طويلُ مُدَّةِ البَقاءِ، ولا يُقالُ: عَظيمُ السِنِّ، والكبيرُ يُسْتَعْمَلُ فيما لا يُستَعْمَلُ فيه العظيمُ، فإن كان ما طالَتْ مُدَّةُ وُجودِهِ مع كونِهِ مَحدوداً مُدَّةَ البَقاء، كبيراً، فالدائِمُ الأَزَليُّ الأَبَدِيُّ الذي يَسْتَحيلُ عليه العَدَمُ، أَوْلَى بأن يكون كبيراً.

(والثاني): أن وجودَه هو الوجودُ الذي يَصْدُرُ عنه وجودُ كلِّ مَوْجُودٍ، فإن كان الذي تمَّ وُجودُه في نفسه كامِلاً وكبيراً، فالذي حَصَلَ منه وُجودُ جميعِ المَوْجُودات أَوْلَى بأن يكونَ كامِلاً وكبيراً.

والكَبيرُ مِن العِبادِ هو الكاملُ الذي لا تقتَصِرُ عليه صفاتُ كماله، بل تَسْرِي إلى غيره، فلا يجالِسُه أحدٌ إلا ويَفِيضُ عليه شَيْءٌ مِن كمالِهِ، وكمالُ العَبْدِ في عَقْلِهِ وورعه وعلمه. فالكبيرُ هو العالِمُ التَقِيُّ، المُرْشِدُ للخلق، الصالِحُ؛ لأن يكون قُدْوَةً يُقْتَبَسُ مِن أنواره وعلومه. ولذلك قال عيسى عليه السلام: مَن عَلِمَ وعَمِلَ فذاك يُدْعَى عَظيماً في مَلكوت السماءِ). انتهى كلام الغزالي.

وقال الإمام المحدِّث اللغوي مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي رحمه الله في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء الله الكبير أي العظيمُ ذو الكبرياء. وقيل: المتعالِي عن صفاتِ الخلق، والكبرياءُ: العَظَمَةُ والملك، وقيل: هي عِبارَة عن كمال الذات وكمال الوُجود، ولا يوصَفُ بها إلّا اللَّهُ تعالى. وهو من الكِبْرُ ـ بالكسر ـ وهو العظمة، ويُقال: كَبُرَ ـ بالضمّ ـ يَكْبُرُ، أي عَظُمَ، فهو كبير.

وفي حديث الأذان: «**اللَّهُ أَكْبَر**» معناهُ: اللَّهُ الكَبيرُ، فوضع «أَفْعَل»، مَوْضِعَ

«فعيل» كقول الفرزدق ا عر:

إنّ الـذي سَـمَـكَ الـسـمـا ابَـنـا لَـنـا بَـيْـتـاً دَعـائِـمُـهُ أَعَـزُّ وأَطْـوَلُ

أي: عَزِيزةٌ طَوِيلَةٌ. وقيل: معناه: اللَّهُ أَكْبَرُ من كلّ شيء، أي أعظم، فَحُذِفَت «مِن» لِوُضُوحِ معناها، و«أكبر» خَبَرٌ، والأخبارُ لا يُنْكَرُ حذفها، وكذلك ما يتعلّق بها. وقيل معناه: اللَّهُ أكبَرُ مِن أن يُعْرَفَ كُنْهُ كِبْريائه وعظمته، وإنما قُدِّرَ لَهُ ذلكَ وأُوِّلَ؛ لأنَّ «أفعل» فُعْلَى يلزمه الألف واللام أو الإضافة، كالأكبر، وأكْبَرُ القَوْمِ.

أقوال المفسّرين

قال اللَّهُ تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: 9]، أي يَعْلَمُ كلَّ شيءٍ مِمّا يُشاهِدُه العِباد، ومِمّا يَغيبُ عنهم، ولا يَخفَى عليه منه شيء ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي هو أكبَرُ مِن كل شيء ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾، أي على كلّ شيء ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]، وقَهَرَ كلَّ شيء فَخَضَعَتْ له الرِقابُ، ودانَ له العِبادُ طوعاً وكَرْهاً.

أثر هٰذا الاسم على العَبْد

إنّ مَنْ عَلِمَ أنَّ اللَّهَ هو الكَبيرُ، وأَنَّ شَأْنَهُ أَكْبَرُ مِن كُلِّ شأنٍ، هَانَ أمامه كلُّ أمْرٍ مِن أُمور الدُنيا، ولم يَعُد يَتَوَهَّمُ منه، فالكُل صَغِيرٌ، وَاللَّهُ أكْبَرُ، والكُلُّ حقيرٌ واللَّهُ أَجَلُّ وأعظمُ، فلا يعودُ يخشى أحداً إلّا الله، فيُقدِّم رضوانه على كل غايَة، ويُقدِّم أمر ربِّه على كل أمر.

وإذا سمع نداء الصلاة (اللَّهُ أكْبَر) ترك أمور الدنيا جميعَها، واستجاب لنداء ربّه، لعلمه أن شأْنَ اللَّهِ أكبرُ مِن كل شأن، وأن طاعةَ اللَّهِ مُقدَّمَةٌ على كل شيءٍ من أمور الدنيا.

وقد كان شعارُ المسلمين فيما مضى كلمةَ (اللَّهُ أكبر) وما أروعه من شعار! فهم إذا دخلوا ساحات المعارك، دخلوها مُرِيدِينَ وجهَ اللَّهِ، وإعلاء كَلِمَتِهِ ودِينِه، مستعينين بِقوَّة الكبير الأكبر، مُرَدِّدين هٰذا الشعار، الذي يزيدُ النفوس ثِقَةً باللَّه وتأييده وقوته ونصره.

obeikandl.com

65 ـ المُتَكَبِّر

لمّا كان اللَّهُ سبحانه هو الكبير في الحقيقة، ولا كبيرَ سِوَاهُ، ولمّا كان اللَّهُ سُبحانَه عليماً بالحقائق على وجهها، كان مِن كمال عِلْمِه وتَقْديرِهِ لِذاتِهِ، حقيقاً بأن يكون مُتَكَبِّراً، أي مُثْبِتاً لنفسه أنه هو الكبيرُ، وأنّه أكبرُ مِن كلّ كبير؛ لأنّ ما سِوَى اللَّهِ تعالى مَخْلُوقٌ له، ومِن هنا جاء في المأثور مِن أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى: (المُتَكَبِّرُ).

معناه

ومعناه أنه الذي يعلمُ حَقيقةَ ذاتِهِ، فَيُثْبِتُ لِنَفْسِه وصْفَهُ الحقيقيَّ، وهو أنه الكبيرُ، وهٰذا المعنى هو معنى التكبُّر بالنسبة لِلَّهِ تعالى، وأما التكبُّر بالنسبة لغيره سبحانه فهُو ادِّعاءٌ كاذِبٌ، وتَكَلُّفٌ مَمْقُوتٌ، وخُلُقٌ ذمِيمٌ، قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: 23].

وقد ورد هٰذا الاسم في موضع واحد من القرآن الكريم لا غير، وهو المذكور، كما جاء في الحديث الجامع لأسماء الله الحسنى.

أقوال العلماء في تفسيره

قال الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (المتكبِّر هو الذي يَرَى الكُلَّ حَقيراً بالإضافَةِ إلى ذاتِه، ولا يَرَى العَظَمَةَ والكِبْرِياءَ إلّا لنفسه، فينظر إلى غيره نظر المُلوكِ إلى العَبيدِ، فإن كانت هذه الرؤيةُ صادِقَةً كان التَكَبُّر حقّاً، وكان صاحِبُها مُتكبِّراً حقاً.

ولا يُتَصَوَّرُ ذلك على الإطلاق إلّا لِلَّهِ تعالى، فإنْ كانَ ذلك التَكَبُّر والاسْتِعْظَامُ باطِلاً ومَذْمُوماً، وكُلُّ مَن رأى العَظَمَةَ والكِبْرِيَاءَ لنفسه على الخصوص دُونَ غَيْرِهِ، كانت رُؤيَتُهُ كاذِبَةً، ونَظَرُهُ باطِلاً إلّا اللَّهَ تعالى) انتهى كلامُ الغزالي.

وقال الإمام مجدُ الدين ابن الأثير الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء الله تعالى: المُتَكَبِّرُ، أي العظيمُ ذو الكِبْرياءُ. وقيل:

المتعالي عن صِفات الخلق، وقيلَ: المُتَكَبِّرُ على عُتَاةِ خلقه، والتاءُ فيه للتَفَرُّدِ والتَخَصُّص، لا تاءُ التعاطي والتَّكَلُّف، والكِبْرِياء: العَظَمَةُ والمُلْكُ، وقيلَ: هي عِبارَةٌ عن كَمالِ الذاتِ، وكمالِ الوُجُودِ ولا يُوصَفُ بها إلّا اللَّهُ تعالى، وهو مِن الكِبْر ـ بالكسر ـ وهو العَظَمَةُ.

ومنه الحديثُ الذي أخرجه الإمام مسلم في الإيمان من «صحيحه»، الحديث (262) باب تحريم الكبر، والإمام أحمد في مسنده (1/ 399)، والحاكم في «مستدركه» (1/ 26): «**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن في قَلبِهِ مثقالُ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ مِن كِبْر**» ـ يعني كِبْرَ الكُفْر والشِركِ ـ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، ألا تَرَى أنه قائله في نقيضه بالإيمان فقالَ: «**ولا يَدْخُلُ النارَ مَن في قلبه مِثْلُ ذلك من الإيمان**»، أرادَ: دُخولَ تأبيدٍ. وقيل: أراد إذا أُدْخِلَ الجنَّة نزع ما في قلبه من الكِبْرِ، كقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: 43].

ومنه الحديث الذي أخرجه مسلم في الموضع نفسه، الحديث (261) بلفظ الحديث السابق وزيادة: قال رَجُلٌ: إن الرجُلَ يحِبّ أن يكونَ ثوبَه حسناً ونَعْلُهُ حَسَنَة، قال: «**إنّ اللَّه جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ، الكِبْرُ بَطْرُ الحق وغَمْطُ الناس**». قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: (أي احتقارهم، وأما «بَطْرُ الحقّ» فهو دفْعُه وإنكارُه تَرَفُّعاً وتَجَبُّراً.

واختلف العلماء في قوله ﷺ: «**إن اللَّهَ جميلٌ**» فقيل: إنّ معناه أنَّ كُلَّ أمْره سُبْحَانَهُ وتعالى حَسَنٌ جَميلٌ، ولهُ الأسماءُ الحُسْنَى، وصِفَاتُ الجَمالِ والكمالِ. وقيل: جميلٌ بمعنى: مُجْمِلٌ، ككَريم وسَمِيع بمَعْنَى: مُكْرِم ومُسْمِع. وقال: الإمام أبو القاسم القُشَيْري رَحِمَهُ اللَّهُ: (معناه: جَليلٌ). وحكى الإمامُ أبو سُليمان الخَطّابي: أنه بمعنى ذي النور والبَهْجَة، أي مالكهما. وقيل: معناه جميلُ الأفعال بِكُمْ، باللُّطْفِ والنظرِ إليكم، يكلِّفُكُم اليَسيرَ مِنَ العَمَلِ، ويُعينُ عليه، ويُثيبُ عليه الجزيل، ويشكُر عليه، وليُعْلَم أن هذا الاسمَ ورد في هٰذا الحديث الصحيح، ولكنه مِن أخبار الآحاد، والمختار جواز إطلاقه على اللَّهِ تعالى، ومِنَ العُلَماءِ مَن مَنَعَه. قال الإمام أبو المَعالي الجُوَيني إمامُ الحَرَمَيْن رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما وَرَدَ الشَّرْعُ

بإطلاقِهِ في أسماءِ اللَّهِ تعالى وصفاته أَطْلقناهُ، وما مَنَعَ الشرعُ مِن إطلاقِهِ مَنَعْناهُ، وما لم يَرِدْ فيه إذْنٌ، ولا مَنْعٌ لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم، فإن الأحكامَ الشرعيَّة تُتَلَقَّى مِنْ مَوارِد الشرْعِ، ولو قَضَيْنَا بتحليل أو تحريم لكنا مُثْبِتين حُكماً بغير الشَرْع).

أقوال المُفسّرين

الكِبْرُ مِن الصِفَاتِ التي تليقُ بجلالِ اللَّهِ وحْدَهُ، ولا يَليقُ بالعَبْدِ أن يَتَّصفَ بها، وإذا اتَّصَفَ بها اسْتَوْجَبَ مَقْتَ الربّ وغَضَبَهُ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: 146]، ومعناه سأمْنَعُ فَهْمَ الحُجَجِ والأَدِلَّةِ الدالَّةِ على عظمتي وشريعتي وأحْكامِي قُلوبَ المُتَكَبِّرين عن طاعَتي ويَتَكَبَّرون على الناسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أي: كما اسْتَكْبَرُوا بِغَيْرِ حَقٍّ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ بالجَهْلِ، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 110]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5]، وقال بعض العلماء: (لا يَنالُ العِلْمَ حَيِيٌّ ولا مُسْتَكْبِرٌ). وقال آخرُ:

ومَن لم يَصْبِر على ذُلِّ التَعَلُّم ساعَةً تَجَرَّعَ كَأْسَ الذُلِ طولَ حياته

بَقِيَ في ذُلِّ الجهلِ أبداً، وقال سفيان بن عُيَيْنَة في تفسير هٰذه الآية: (أَنْزِعُ عنهم فَهْمَ القرآن وأَصْرِفُهم عن آياتي). قال ابن جرير الطبري: (وهٰذا يدلُّ على أن هٰذا خطابٌ لهٰذه الأُمَّة). وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: 96، 97] وقولُه: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾، أي وإنْ ظهرَ لهم سَبيلُ الرُشدِ، أي طريق النجاة لا يَسْلُكوها، وإن ظهر لهم طريقُ الهَلاكِ والضلال يتخذوه سبيلاً، ثم عَلَّل مصيرَهم إلى هذه الحال بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾، أي كذَّبَتْ بها قلوبُهم ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾، أي لا يعلمون شيئاً ممّا فيها.

66 ـ العَلِيُّ

معناه

إذا وضعنا المَوْجُودات في منازِلَ معنوية، يعلو بَعْضُهَا بعضاً، كان اللَّهُ سُبحانه الخالق لهذه الموجودات هو العَلِيُّ بذاته وصفاتِه وأفعاله، وما عَداهُ سافِلٌ لا عُلُوَّ له؛ لأن ما لِلَّهِ سبحانَه فَمِنْ ذاته، وأمّا ما لِغَيْرِهِ فَبِهِبَةٍ مِنَ اللَّهِ، وبِخَلْقٍ منه، وَمِن هنا جاء في المأثورِ مِن أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى: (العَلِيُّ).

وهو مأخوذٌ مِنَ العُلُوّ، وهو ضِدُّ السُّفْلِ، والمُرادُ منه: عُلُوُّ الشَرَفِ والجلالَة والكِبْرِياء، وأنَّهُ فَوْقَ خَلْقِهِ، وهٰذا المعنى لا يَسْتَحِقُّهُ في الحَقيقَةِ إلّا اللَّهُ تعالى.

قال الله في مُحكم كتابه المُبين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: 62].

ازالة شبهة

يبالغ بعض البشر فينسب العُلُوّ والتقديس لغير الله تعالى، ولا عليَّ إلّا اللَّهُ تعالى، فهو وحده الربّ العليُّ الأعْلَى، وما سِواهُ مَخْلُوق ضعيفٌ، واللَّهُ تبارك وتعالى لا يَحِلُّ في شيءٍ من مخلوقاته، ولا في إنسان مِن عِبَادِهِ، ومَن ظَن هٰذا واعتقده فهو حُلُوليٌّ، وهذه عقيدة فاسِدَة تخالف عقائد المُسْلِمين، وتُخْرِج صاحِبَها من الإسلام والعياذُ باللَّه، وهي من عقائد الوثنيين البوذيين والفرس والمشركين، تعالى اَللَّهُ عما يقولون علواً كبيراً، فمنهم من يقول: إن الله تَجَسَّد في صنم بوذا، أو في بقرة، وقد انتقلت هذه العقيدة لأهل الكتاب، فقالوا: بحلوله تعالى في جسد عيسى عليه السلام، ومنهم مَن يقول إنه تجسّد في كسرى ملك الفرس، ثُمّ انتقلت هذه العقيدة الفاسدة أيضاً إلى بعض فرق المسلمين، فقال بعضهم: بحلول الله في عليّ بن أبي طالب، ومنهم من يقول: إنه تجسَّد في سلمان الفارسي، أو في أشخاص آخرين غيرهما، وهٰذا كلُّه كفرٌ يخالِفُ الإيمان الصحيحَ بالله الذي أرسلَ اللَّهُ به جميع رسله، فاللَّهُ مُنَزَّهٌ عن أن يَحِلّ في شيءٍ من مخلوقاته، ولم تَرِدْ آية في كتابِ اللَّه تُبيّن هٰذا، ولا في حديث رسولِ الله ما

يُؤيِّده هذه العقيدة الفاسدة، بل على العكس من ذلك تماماً، فقد أرسلَ اللَّه جميع رسله وأنبيائهِ، وكان خاتمهم محمداً ﷺ، ليصحّح في الأرض مفهومَ الألوهية عند الناس، بعدما تشوَّه في أذهان كثير منهم، وليُعْلِنَ عقيدة التوحيد الخالِص والكمال والعُلُوّ والتقديس لله، وينفي عنه الشرك والوثنية وعبادة غير الله، فالله وحده هو الربّ المتعالي المعبود، وكلّ ما سِواه مخلوق عاجز ضعيف خاضِعٌ لسلطانه، مُحَاسَبٌ على أعماله، واللَّهُ سبحانه وتعالى قائِمٌ بنفسه، لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء، واحِدٌ بذاته وصفاته وأفعاله، صَمَدٌ غنِيٌّ عن كل شيء، وكلُّ مخلوقاته فقيرة محتاجة إليه في وجودِها وبقائها، فالقُدْسِيَّةُ له وحده، ولا تقديسَ للأوثان ولا للأشخاص في الإسلام مهما كانوا، حتى ولو كانوا رسلاً، بل الرسُلُ هم أشخاصٌ مِن البَشَرِ، يشتركون مع سائر البشر في طبيعتهم الإنسانية، وإنما يختلفون عنهم باصطفائهم واختيارهم من سائر البشر لإنزال رسالة الله إليهم، وبتبليغ رسالة اللَّهِ للبشر، بعد أن اختارهم الله تعالى لتبليغ أقوامهم، وهو يُوحِي إليهم رسالاته بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، الذي يُبَلغ هو بدَوْرِهِ ما أُمِرَ بتبليغه للرسل ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: 110]. فلا حُلولَ ولا اتّحاد بَيْن الله ومخلوقاته، تعالى اللَّهُ عن ذلك علواً كبيراً.

إن احترامَ الأشخاص وتقديرَهم ينبغي أن لا يَصِلَ إلى تأليههم وتقديسهم، فالألوهية للَّهِ وحده لا شريك له، ومَقامُ الأُلوهية تفرَّدَ به اللَّهُ ربُّ العالمين، لا يشارِكُه، ولا يُدانِيه، ولا يُقارِبُه فيه أحدٌ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4].

وأما مقام الملائكة فلا يصل إليه أحد مهما بلغ من الناس.

وكذلك مَقام النبوّة هو اختيارٌ واصطفاء من الله لبعض عباده، وليس مِن كسب الأنبياء، ومهما اجتهد الإنسان في العبادة فلا يصير رسولاً ولا نبيّاً، إلّا باختيار الله وإرادته هو ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: 75].

وتلي مَرْتَبَة النُبوَّة مرتبة الصِدِّيقية، ثم مرتبة الشهادة في سبيل الله، ثم مرتبة الصلاح والولاية في الناس، ثم مرتبة العِلم وهي مِن فضل الله ورحمته، ﴿وَمَن

يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]، والناسُ متفاوتون بعد هذا في العلم والصلاح والتقوى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: 74]، واللَّهُ وحده هو العَلِيّ في الوجود على جميع خلقه.

أقوالُ العلماء في تفسيره

يقولُ الإمام حُجَّةُ الإسلام وفيلسوفُه أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «المَقصِد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحُسْنَى»: (العَليُّ هو الذي لا رُتْبَةَ فَوْقَ رُتْبَتِهِ، وجميعُ المَراتِب مُنْحَطَّةٌ عنه.

وذلك لأنّ العليَّ مُشْتَقٌّ مِن العُلُوِّ، والعُلُوُّ مأخُوذٌ مِن العُلُوِّ المُقابل للسُّفْلِ، وذلك إمّا في درجاتٍ مَحْسُوسَة، كالدرج والمَراقي، وجميع الأجسام المَوْضوع بعضُها فوقَ بعض، وإما في الرُّتَب المعقولَة للموجودات المُتَرتِّبَة نوعاً مِن الترتيب العقلي.

فكُلُّ ما له الفوقية في المكان فله العُلُوُّ المَكانِي، وكلُّ ما لَه الفَوْقِيَّة مِن الرُّتْبة فله العُلوُّ في الرُّتْبَة).

وقال الإمام المحدّث اللغوي مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء الله تعالى: العلِيّ، وهو الذي ليس فَوْقَه شيءٌ في المرتبةِ والحُكْمِ، (فعيلٌ) بمعنى: (فاعل) مِن عَلَا يَعْلُو.

وفيه الحديث المُتّفَقُ عليه الذي أخرجه الإمام البخاري في الزكاة مِن صحيحه برقم (1429)، ومسلم في الزكاة من صحيحه برقم (2382): «**اليَدُ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليَدِ السُفْلَى**»، والعُليا هنا بمعْنَى: المُتَعَفِّفَة، والسُفْلَى أي السائلة، رُوِيَ ذلك عن ابن عُمَر، وَرُوِيَ عنه أن العُليا المُنْفِقَةُ ـ وقيل: العليا المُعْطِيَة، والسُفْلَى الآخِذَةُ، وقيل: السُفْلَى المانِعَةُ.

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: 18 ـ 21]، أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (3/ 61): «**إنَّ أهل الجنَّةِ لَيَتَراءُونَ أَهْل عِلِّيين كما تَرَوْنَ الكوكبَ الدُّرِّيَّ**

في أُفُقِ السماءِ»، عليِّيُّونَ اسمٌ للسماءِ السابِعَةِ، وقيل: هو اسمٌ لِديوَانِ الملائِكَةِ الحَفَظَةِ، تُرْفَعُ إليه أعمالُ الصالحينَ مِنَ العِبَادِ، وقيل: أرادَ أعلى الأمكِنَةِ، وأشرفَ المَراتِبِ وأقرَبِها مِنَ اللَّهِ في الدارِ الآخِرَة.

أقوال المفسّرين

يقول الله تعالى في آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: 255]، هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم، قد صحَّ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، بأنها أفضلُ آيةٍ في كتاب اللَّهِ، ففيها إخبار بأن اللَّهَ هو المنفردُ بالإلٰهيَّة لجميع الخلائق الحيُّ في نفسه الذي لا يموتُ أبداً، القَيِّمُ لغَيْرِهِ، فَجَمِيعُ المَوْجُودَات مُفْتَقِرَةٌ إليه وهو غنيٌّ عنها، ولا قوام لها بدون أمْرِه، لا يعتريه نَقْصٌ ولا غَفْلَةٌ ولا ذُهُولٌ عن خلقه، بل هو قائِمٌ على كلّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ، شَهيدٌ على كل شيءٍ لا يَغِيبُ عنه شيء ولا يَخْفَى عليه خافية، والجميع عبيده وفي مُلْكِهِ وتحتَ قَهْرِهِ وسُلطانِهِ، ومِن عَظَمَتِهِ وجلالِه وكِبْريائِهِ ﷻ أنه لا يتجاسَرُ أحَدٌ على أن يَشْفَعَ لأَحَدٍ عنده، إلَّا بإذنه له في الشفاعة، وأنه يُحيط علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضِرها ومُسْتَقْبَلها لا يَطَّلِعُ أحَدٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ على شَيءٍ، إلا بما أعْلَمَهُ اللَّهُ ﷻ وأطلعه عليه، وسِعَ عِلْمُهُ كل شيء في السَمٰوات والأرض، ولا يُثْقِلُهُ حفظ السمٰوات والأرض ومن فيهما ومَن بينهما، بل ذلك سهل عليه يَسيرٌ لديه، وهو القائِمُ على كلّ نفسٍ بما كَسَبَتْ الرقيب على جميع الأشياء، فلا يَعْزُبُ عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلّها حقيرَة بين يديه، مُتواضِعَةٌ ذليلةٌ صَغِيرَةٌ بالنِسبة إليه مُحتاجَةٌ فقيرة، وهو الغنيُّ الحميدُ، الفعّالُ لما يُريد، الذي لا يُسْأَل عَمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألون، وهو القاهِرُ لكل شيء الحَسِيبُ على كل شيء، الرَقِيبُ العلي العظيم لا إلٰه غيرُه ولا رب سِواه.

67 ــ المُتَعالي

لما كان اللَّهُ سبحانه هو العَلِيُّ في الحقيقة ولا عَلِيَّ سواه، ولما كان اللَّهُ

سبحانَه عليماً بالحقائِق على وَجْهِها، كان من كَمالِ علمه، وتقديره لذاته وصفاته وأفعاله حقيقاً بأن يكون مُتَعالياً، أي مُثْبِتاً لنفسه أنه هو العَلِيّ، ومِن هنا جاء في المأثورِ من أسمائه الحسنى المُتَعالِي.

معناه

المُتَعالِي أي الذي يَعْلَمُ حقيقة ذاته وصفاته وأفعاله، فَيُثْبِتُ لنفسه وصْفَهُ الحقيقي، وهو أنه العليّ، وهٰذا المعنى هو معنى التعالي بالنسبة لله تعالى، وأما التعالي بالنسبة لغيره سبحانه، فهو ادِّعاءٌ كاذِبٌ، وتَكلُّفٌ مَمْقُوتٌ، وخُلُق ذميمٌ.

قال الله تعالى في مُحْكَمِ كتابه الكريم: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: 9]، وقد ورد هٰذا الاسمُ في موضعٍ واحِدٍ من القرآن الكريم.

أقوال العلماء في تفسيره

قال الإمام الغزالي في «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (المتعالي بمعنى العلي، مع نَوْعٍ مِن المبالغة).

وقال الإمام مجد الدين ابن الأثير في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى المُتَعالِي الذي جَلَّ عَنْ إفْكِ المُفْتَرِين، وعلا شأنُه. وقيل: جلَّ عن كُلِّ وَصْفٍ وثناءٍ، وهو (مُتَفاعِلٌ) مِن العُلُوِّ، وقد يكونُ بِمَعْنَى العَالِي.

ومنه الحديث الذي أخرجه البخاريّ في كتاب الجهاد مِن «صحيحه» باب ما يُكرَه من التنازع والاختلاف، الحديث (3039): أنّ المُسْلِمينَ لما هَزَمُوا المشركين يومَ أُحُدٍ، وتَرَكَ الرُّمَاةُ مَواضِعَهُم في الجبل، انكشف المُسْلِمُون، فارتدّ إليهم خالد بن الوليد ومعه فلول المشركين مِن وراء ظهورهم، وأَمْعَنُوا فيهم تقتيلاً وتَجريحاً، فقال أبو سُفيان لما انْهَزَمَ المسلمون وظَهَرُوا عليهم: أُعْلُ هُبَلُ، فأمر رسولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ أن يَرُدَّ عليه: «**اللَّهُ أَعْلَى وأَجَلّ**».

أقوالُ المفسّرين

يقول الله تعالى في مُحكم كتابه المُبين: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا

تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: 8، 9]، يُخْبِرُ تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنه مُحيطٌ بما تحمله الحَوامِلُ مِن كل إناث الحيوانات، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: 34]، أي ما حَمَلت مِن ذَكَرٍ أو أُنْثَى، أو حَسَنٍ أو قَبيح، أو شَقيٍّ أو سَعيدٍ، أوْ طَويل العُمُرِ، أو قصيره، كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ [النجم: 32]، وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: 6]، أي خلقكم طَوْراً مِنْ بَعْدِ طَوْر، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 12 ـ 14]، وفي الصحيحَيْن، عن ابن مسعود قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُم يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّه أربعينَ يوماً، ثم يكونُ عَلَقَةً مِثل ذلك، ثم يكون مُضغَة مِثلَ ذلك، ثم يَبْعَثُ اللَّهُ إليه مَلَكاً بِأَرْبَعِ كَلِماتٍ: فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ، وأَجَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وشَقِيٌّ أَم سَعِيدٌ، ثم يَنْفُخُ فيه الروحَ**». وفي الحديث الآخر: «**فيقولُ المَلَكُ: أي رَبِّ! أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أي ربِّ! أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فما الرزقُ؟ فما الأَجَلُ؟ فيقولُ اللَّهُ ويَكتُبُ المَلَكُ**».

وقولُه: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ﴾، أخرج البخاري بسنده إلى ابن عمر، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**مَفاتيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهنَّ إلا اللَّهَ، لا يَعْلَمُ ما في غدٍ إلاّ اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ ما تَغيضُ الأرحامُ إلا اللَّه، ولا يَعْلَمُ متى يأتي المَطَرُ أَحَدٌ إلاّ الله، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، ولا يعلَمُ متى تقومُ الساعَةُ إلاّ اللَّه**». وقال العوفي عن ابن عبّاس: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ يعني: السَقْطَ ﴿وَمَا تَزْدَادُ ۖ﴾ يَقولُ: ما زادت الرحمُ في الحَمْلِ على ما غاضَت حتى ولدته تماماً، وذلك أنّ من النساء مَن تحمِل عشرة أشهر، ومَن تحمل تسعَةَ أشهر، ومنهن من تزيد في الحمل، ومنهن من تَنْقُص، فذلك الغَيضُ والزيادَة التي ذكر اللَّهُ، وكلُّ ذلك بعلمه تعالى.

وقال قتادَة: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾، أي بأجل، حَفِظَ أرْزاقَ خَلْقِهِ وآجالَهُم وجعل لذلك أَجَلاً مَعْلوماً. وفي الحديث الصحيح أن إحدى بناتِ

النبي ﷺ بعثت إليه: أن ابناً لها في الموت، وأنها تحبّ أن يحضره، فبعث إليها يقولُ: «**إنّ للّهِ ما أخذ وله ما أعطى، وكلُّ شيءٍ عنده بأجل مُسَمًّى، فمروها فَلْتَصْبِر وَلْتَحْتَسِب**» الحديث بتمامه.

وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، أي علمُ كلِّ شيء ممّا يشاهده العِباد، وممّا يَغيبُ عنهم، ولا يَخْفَى عليه منه شيء ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي هو أكبَرُ مِن كل شيء ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾، أي على كل شيء ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وقهر كلّ شيء فخضعت له الرِقابُ ودان له العبادُ طَوْعاً وكَرْهاً.

أثر هذا الاسم على العبد

إن المؤمن الذي يعلم أن صِفات العُلُوّ والتكبُّر لله وَحْدَه، لا يشاركه فيها أَحَد، يَتَجَنَّبُ الاتصافَ بهذه الصفات؛ لأنها لا تليق إلا بالله، فهي محمودة بحقّه وحده، ومذْمومة لخَلْقِهِ؛ ولذلك فالمؤمن يتجنّب التكبُّر على خلق الله والتعالي عليهم، ويحرِصُ على مؤاخاتهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: 215]. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، وكذلك فالمؤمن عليه أن يتعالى على سَفاسِف الأمور، ومَلذّات الحياة الدنيا التي غَرِق بها أهل الفجور والمَعاصي، فأسَرَتْهم ولم يعودوا يقدرون على التخلّص منها، فالمؤمن قويّ الإرادة، يحكّم إرادته ويَتعالى على ملذات الحياة الدنيا، بينما الكافر تحكمه شهواته، وتضعف إرادته أمامها.

68 ــ الجليل

لمّا كان اللّهُ سبحانَه هو الكاملُ في صِفَاتِهِ، وما عَداهُ ناقصٌ، وهذا معنى الجلال، جاء في المأثور مِن أسماء الله الحُسْنَى (الجليلُ).

معناه

الجليلُ مَأْخُوذٌ من الجَلالِ، وهو الكمالُ في الصفات والأفعال، فاللّهُ سبحانه هو الجليل؛ لأنه وحدَه هو الذي له الجَلالُ والكَمالُ في جميع الصِفاتِ

والأفعال، وفي معنى أنه الجليلُ قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمٰن: 78]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: 26، 27]، ولم يرد هذا الاسمُ في القرآن الكريم بهٰذه الصيغة، ولكنه مُجمَعٌ عليه، وقد جاء في الحديث الجامع لأسماء الله الحسْنَى.

أقوال العلماء في تفسيره

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المَقصِد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (الجليل هو الموصوف بنعوت الجلال، ونعُوتُ الجلال هي: الغِنَى، والمُلك، والتَقَدُّس، والعلم، والقُدْرَةُ، وغيرُها من الصفات التي ذكرناها، فالجامِعُ لجميعها هو الجليلُ المُطْلق، والموصوفُ ببعضها جلالته بقدر ما نالَ مِن هذه النُعوت.

فالجليلُ المطلقُ هو اللَّهُ تعالى فقط، فكأنّ الكبيرَ ترجعُ إلى كمالِ الذاتِ، والجَليلَ إلى كمال الصفات، والعظيمَ يرجعُ إلى كمال الذات والصِفات جَميعاً منسوباً إلى إدْرَاكِ البَصيرَة إذا كان بحيث يَسْتَغْرِقُ البصيرة، ولا تَسْتَغْرِقُهُ البَصِيرَةُ.

ثم صفاتُ الجلَال إذا نُسِبَت إلى البصيرة المُدْرِكَةِ لها سُمِّيت جمَالاً، ويُسَمَّى المُتَّصِفُ بها جَميلاً، واسمُ الجميلِ في الأصل وُضِعَ للصورَةِ الظاهرة المُدرَكة بالبصر مهما كانت؛ بحيث يلائِمُ البَصَرَ ويوافِقُه، ثم نُقِلَ إلى الصورَة الباطِنيَّةِ التي تدرَك بالبصَائِر، حتى يُقالَ: سِيرَةٌ حَسَنَةٌ جَميلَةٌ، ويُقالَ: خُلُقٌ جَميلٌ، وذلك يُدرَكُ بالبصائر لا بالأبْصار.

فالصورَةُ الباطِنَةُ إذا كانت كاملة مُتناسِبَة جامعةً لجميع كمالاتها اللائِقة بها كما يَنْبغي، وعلى ما يَنْبغي فهي جميلةٌ بالإضافَة إلى البصيرة الباطِنَة المُدرِكة لها، ومُلائِمَةٌ لها مُلائَمةً يُدرِك صاحِبُها عند مُطالعتها من اللَّذَّةِ والبَهْجَةِ والاهتزاز أكثر ممّا يُدْرِكُهُ الناظِرُ بالبَصَرِ الظاهِرِ إلى الصُورَةِ الجميلة.

فالجميلُ الحقُّ هو اللَّهُ تعالى فقط؛ لأن كل ما في العالَم مِن جَمال وكمالٍ وبَهاءٍ وحُسْنٍ فهو مِن أنوارِ ذاتِه وآثارِ صِفاتِهِ، ولَيْسَ في الوُجودِ أَحَدٌ له الكمالُ المطلق الذي لا مَثوبَة فيه لا وُجوداً ولا إمكاناً سِواه. ولذلك يُدْرِكُ عارِفُه والناظِرُ

إلى جمالِه مِن البَهْجَةِ والسُّرورِ واللَّذَّةِ والغِبْطَةِ، ما يَسْتَحْقِرُ معها جمالَ الصورَةِ المُبْصَرَةِ بل لا مناسَبَة بين جمال الصورة الظاهرة وبَيْن جمال المعاني الباطِنَة المُدْرَكَةِ بالبصائر، وهٰذا المَعْنَى كشفنا عنه الغِطَاءَ في كتاب المَحَبَّة مِن كتب «إحياء علوم الدين».

فإذا ثبتَ أنه جَليلٌ وجَميلٌ، فكلُّ جَميلٍ مَحبُوبٌ ومَعْشُوقٌ عند مُدْرِك جماله، فلذلك كان الله تعالى مَحْبوباً، ولكن عند العارِفين، كما تكون الصورَة الجميلةُ الظاهِرَة مَحبُوبَةً، ولكن عند المُبْصِرين لا عند العِميان.

والجَليلُ مِنَ العِبادِ مَن حَسُنَت صفاتُه الباطِنَة التي تَسْتَلِذُّهَا القُلوبُ البَصِيرَةُ، فَأمّا جَمالُ الظاهرِ فنازل القَدْر).

وقال الإمام مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزريّ المحدّث اللغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء اللَّهِ تعالى: الجَليلُ، وهو المَوْصُوفُ بِنُعُوتِ الجَلال، والحَاوِي جميعَها هو الجَليلُ المُطلَق، وهو راجعٌ إلى كمال الصِفاتِ، كما أنّ الكبيرَ راجِعٌ إلى كمالِ الذاتِ، والعظيمُ راجعٌ إلى كمال الذاتِ والصفات.

ومنه الحديثُ الذي أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (5/ 199) بسنده إلى أبي الدرداء الأنصاري: «أَجِلُّوا اللَّهَ يَغْفِرْ لكُم» أراد عَظِّمُوهُ، وجاء تفسيرُه في بعض الروايات: أي أَسْلِمُوا.

وأخرج الإمامُ مسلمٌ في كتاب الصلاة مِن «صحيحه»، باب ما يُقال في الركوع، الحديث (1084): «اللهمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي كُلَّه دِقَّهُ وَجِلَّه» أي صغيرَه وكبيرَه، ويُقال: ما له دِقٌّ ولا جِلٌّ.

ومنه حديث عليِّ بن أبي طالب ﷺ: «اللهمَّ جَلِّلْ قَتَلَةَ عثمانَ خِزْياً»، أي غَطِّهِم به، وأَلْبِسْهُمْ إياه، كما يَتجَلَّلُ الرَّجُلُ بالثوب.

أقوال المُفسِّرين

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾

[الرحمٰن: 26، 27]، يُخْبِرُ تعالى أن جميعَ أَهْلِ الأرض سيذهبون ويموتون أَجْمَعُونَ وكذلك أهلُ السمٰوات إلّا مَن شاءَ اللّٰهُ، ولا يَبْقَى أَحَدٌ سِوَى وَجْهُهُ الكَريمُ، فإنّ الربَّ تعالى وتقدَّسَ لا يموتُ، بل هو الحيُّ الذي لا يَموتُ أبداً، وفي الدعاءِ المأثور: (يا حيُّ يا قَيُّومُ يا بَديعَ السماوات والأرض، يا ذا الجلالِ والإكرام لا إلٰه إلّا أنتَ، برحمتك نَسْتَغِيثُ أصلِحْ لنا شَأْنَنا كُلَّه، ولا تكِلنا إلى أَنْفُسِنا طَرْفَةَ عَيْن، ولا إلى أَحَدٍ من خلقك).

وقال الشَّعْبِيُّ: إذا قرأتَ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ فلا تسكت حتى تقرأ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ وهٰذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88].

وقد نَعَتَ تعالى وَجْهَهُ الكريم في هٰذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والإكرام، أي هو أَهْلٌ أنْ يُجَلَّ فلا يُعْصَى، وأنْ يُطَاعَ فلا يُخالَفَ، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: 28]، وكقوله إخباراً عن المُتَصدِّقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 9]، قال ابنُ عباس: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو العظمة والكبرياء.

أثر هٰذا الاسم على العبد

إن مَن عَلِمَ أن الجَلالَ والكمالَ والعَظَمةَ لِلّٰهِ تعالى وحْدَه، أَجَلَّه وعَظَّمَهُ في نفسه وآمَن به، وأخضع نفسه له، وحَمَلَها حَمْلاً على تعظيمه وتوقيره وإجْلالِهِ وطاعته، ولم يُكبِرْ في نفسه سواهُ مِن عَدُوٍّ، أو خَصْم، ولم يخشَ أحداً إلّا الله، فهو وحده الجليل، والكلُّ مملوكٌ له فقيرٌ إليه، ضعيفٌ أمامه.

69 ــ العظيم

لما كان اللّٰهُ سبحانَه هو الكَبيرُ في ذاته، والجليلُ في صفاته وأفعاله، والعَلِيُّ في شرفه ومَقامِه، وهٰذا مُنْتَهى العَظْمَةِ والكَرَم، جاءَ في المأثور مِن أسمائه الحُسْنَى: (العظيم والكريمُ في أحد معانيه).

معنى العظيم: أي الذي له صِفاتُ الكِبْر والعُلُوِّ والجَلال، وبها كان عظيمَ

القَدْر، قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]، وقد ورد هٰذا الاسم في القرآن الكريم في ستة مواضع.

أقوال العلماء في تفسيره

يقول الإمام حُجَّةُ الإسلام، وفيلسوفُه أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «المَقصِد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (لِيُعْلَم أنَّ اسمَ اللَّهِ العظيمُ في أول الوَضْع إنما أُطْلِقَ على الأجسام، يُقالُ: هٰذا الجسمُ عَظيمٌ، وهٰذا الجسْمُ أعْظَمُ مِن ذلك الجسم، إذا كان امتدادُ مساحَته في الطولِ والعرْضِ والعُمقِ أكثَرَ منه.

ثم هو يَنْقسِمُ إلَى: عظيم يَمْلأُ العَيْنَ وتأخُذُ منه مَأْخَذاً، وإلى ما لا يُتَصوَّرُ أن يُحِيطَ البَصَرُ أطْرَافَهُ كالأَرْضِ والسَماءِ، فإنَّ الفِيلَ عَظِيمٌ، والجَبَلَ، ولكنّ البَصَرَ قد يُحِيطُ بأطْرَافِهِ، فهو عَظيمٌ بالإضافةِ إلى ما دونَه. وأما الأرضُ فلا يُتَصوَّرُ أن يُحيطَ البَصَرُ بأطرافها، وكذا السماءُ. فذلك هو العَظِيمُ المُطْلَقُ في مُدَرَكاتِ البَصَر.

وَلْيُفْهَم أنَّ في مُدْرَكاتِ البصائرِ أيضاً تفاوُتاً، فمنها ما تُحيطُ العقولُ بكُنْهِ حقيقته، ومنها ما يَقْصُرُ عنه العَقْلُ، وما تَقْصُرُ العُقولُ عنه يَنقَسِمُ إلى ما لا يُتصوَّرُ أن يُحيطَ به بَعضُ العُقولِ، وإن قصُرَ عنه أكثرها، وإلى ما لا يُتصوَّرُ أن يُحيطَ العَقلُ بِكُنْهِ حَقيقَتِه، وذلك هو العَظِيمُ المُطْلَقُ الذي جاوز جميعَ حُدودِ العَقْلِ حتّى لم يُتَصوَّر الإحاطَةُ بكنهه، وذلكَ هُوَ اللَّهُ تعالى.

والعَظيمُ مِن العِبادِ: الأنبياءُ والعُلماءُ، الذينَ إذا عَرَفَ العاقِلُ شيئاً مِن صِفاتِهِم امتلأ بالهَيْبَةِ صَدْرُه، وصار مُسْتَوْفَىً بالهَيْبَةِ قَلْبُه، حتّى لا يَبْقَى فيه مُتَّسَعٌ.

فالنَبيُّ عَظيمٌ في حَقِّ أُمَّتِهِ، والشيخُ في حَقِّ مُريده، والأُسْتَاذُ في حق تلميذِهِ، إذْ يَقْصُرُ عَقْلُهُ مِنَ الإحاطَةِ بكنهِ صِفاتِهِ، فإن ساواه أو جاوزه لم يكن عظيماً بالإضافةِ إليه.

وكلُّ عظيم يُفْرَضُ غيرُ اللَّهِ، فهو ناقِصٌ وليسَ بعَظِيم مُطْلَقٍ؛ لأنه إنّما يَظهَر بالإضافةِ إلى شيءٍ أو دُونَ شيء، سِوَى عظمةِ اللَّهِ تعالى، فإنّه العَظيمُ المُطلَق لا بطريق الإضافة).

ويقول الإمام المحدّث اللغوي مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى: العَظيمُ هو الذي جاوَزَ قَدْرُهُ، وَجَلَّ عن حدود العُقولِ، حَتّى لا تُتَصَوَّرُ الإحاطَةُ بِكُنْهِهِ، وحَقيقَتِهِ، والعِظَمُ في صِفاتِ الأجسام: كِبَرُ الطولِ والعَرْضِ والعُمْقِ، واللَّهُ تَعالى جَلَّ قَدْرُه عن ذلك.

ومنه الحديث القُدْسِيُّ: «**قال اللَّهُ تعالى: لاَ يَتَعَاظَمُني ذَنْبٌ أن أَغْفِرَهُ**»، أي لا يُعْظُمُ عليَّ وعِنْدِي.

ومنه الحديث الذي أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن تَعَظَّمَ في نَفْسِهِ، واختالَ في مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهِ وهُوَ عَليه غَضْبانُ**» التَعَظّمُ في النفس: هو الكِبْرُ والنَخْوَةُ، أو الزَّهْوُ.

أقوال المفسّرين

قال اللَّهُ تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤﴾ [الشورى: 3، 4]. أي كما أُنزِلَ إليك هٰذا القرآنُ أُنْزِلَ الكتبُ والصُحُفُ على الأنبياءِ قَبْلَك، وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، أي في انتقامه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله. أخرج الشيخان البخاري، ومسلمٌ في صَحِيحَيْهما بسندهما إلى أمّ المؤمنينَ عائشَةَ رضي الله عنها قالت: إن الحارِثَ بنَ هشام سأل رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، كيفَ يأتيكَ الوَحْيُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحياناً يأتيني مِثلَ صَلْصَلَةِ الجَرَس**» ـ وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ ـ «**فَيَفْصِمُ عَنّي وقد وَعَيتُ ما قال، وأحياناً يأتيني المَلَكُ رجُلاً فيُكلّمُني فأَعِي ما يقولُ**». قالت عائشة رضي الله عنها: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ ينزِلُ عليه الوَحْيُ في اليومِ الشديدِ البَردِ فَيَفْصِمُ عنه، وإنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً، واللفظ للبخاري.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي الجميعُ عَبيدٌ له ومُلْكٌ له، تَحْتَ قَهْرِه وتَصْريفِهِ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ كقوله تعالى: وهو ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23]، والآيات في هٰذا كثيرة.

أثر هذا الاسم على العَبد

إن مَن عَلِمَ أن اللَّهَ هو وحدَه العَظيمُ، خَضَعَ لجلالِهِ وعَظَمَتِهِ وطلب منه العَوْن والمدد والنَصْرَ، وأطاع مَوْلاهُ وعَبَدَهُ خوفاً من عَذابِه وناره، وطَمَعاً برضوانِهِ ورحمته ومغفرته وجَنَّتِه، ولم يَخْشَ أحداً سِوَى اللَّه؛ لأنه لا عظيمَ في المخلوقات مهما تعاظم أمام عَظَمَةِ اللَّه، فالكل مملوكٌ له، خاضع لسلطانه وقهره، ذليل بين يديه، وعلى المؤمِن الذي يَعْلم أن لا عظِيمَ إلّا اللَّهَ، أن لا يُعَظِّمَ سِواه من شخص أو جهة أو دولة: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: 54]، وبهٰذا يَقْوَى إيمانُه بالله وَحْدَهُ، ويعمل لنُصْرَةِ دينه بشجاعَةٍ وإقدامٍ، ودونما خوفٍ أو وَجَل من أحد، فلا قُوَّةَ فوق قُوَّةِ الله، ولا قديرَ إلا الله.

والمؤمِنُ عَظِيمٌ في نفسه؛ لأنه آمَنَ باللَّهِ، وأطاع أوامِرَه واجْتَنَبَ معاصيه، فتعاظمت نفسه، وتعالت عن وساوس الشياطين التي توحِي للناس بالكفر والمعاصِي، وهو عظيمٌ؛ لأنه جاهَدَ شيطانَ نفسِه فقهره، ولم يستجب له، ولم يَتّبِعْ هَواهُ، بل جاهد في طاعة ربه نفسه وهواه وشيطانه فانتصر عليهم، هٰذه المعركة التي يتساقط فيها كثير من الناس لضعف إرادتهم أمام شهواتهم، وهنا يظهر العظيم من الحقير: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: 142].

70 ــ الماجِدُ

أيُّ مَجْد وحَسَبٍ أعظم مِنْ جَمْعِ كل صِفاتِ الكمال، مع بُلوغ نهاية الكرم والقدر الرفيع، والشأن العظيم؟! ومن هنا جاء في المأثور مِن أسمائه الحسنى: (الماجِدُ، المَجيدُ، الحَبِيبُ في أحد معانيه، ذو الجلالِ والإكرام).

معناه

الماجِدُ مأخوذٌ مِن المَجْدِ، وهو بلوغُ غاية الشرف، ونهاية الكَرَم، وهٰذا الاسمُ غيرُ مَذكور في القرآن الكريم، بَل المذكور فيه المجيد كما يأتي، ولكنه مُجْمَعٌ عليه، كما ورد في الحديث الجامع لأسماء الله الحسنى، الذي رواه أبو

هريرة ﷺ، وأخرجه الإمامان الترمذي، وابن ماجه في «سُننهما»، والبَيْهَقي في «الدعوات».

أقوال العلماء في تفسيره

قال الإمام أبو حامد الغزالي في «المقصِد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (الماجِدُ بمعنى المَجيد، كالعالِم بمعنى العَليم، لكن الفعيلَ أكثرُ مُبالَغَةً، وسيأتي معناه).

وقال الإمام مجد الدين ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى: الماجِدُ، والمَجْدُ في كَلامِ العَرب الشَّرَفُ الواسِعُ، ورَجُلٌ ماجِدٌ: مِفْضالٌ كثير الخير شريف.

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام مسلمٌ في كتاب الصلاة مِن «صحيحه»، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، الحديث (876): «**مَجَّدَنِي عَبْدِي**» أي: شرَّفَنِي وعَظَّمَنِي.

ومنه حديث علي بن أبي طالب الذي أخرجه الخطّابي في «غريب الحديث»: «أما نحنُ بنو هاشم فأنجادٌ أمْجادٌ» أي أشرافٌ كِرامٌ. جمع: مجيد أو ماجد، كأشهاد في شهيد أو شاهِد).

أقوال المفسّرين

يقول الله تبارك وتعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: 11 ـ 16]، يُخْبِرُ تعالى عَنْ عبادِه المُؤْمنين أن لهُم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها بِخِلافِ ما أعَدَّ لأعْدائه مِن الحريق والجَحيم، ولهٰذا قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾، أي إن بَطْشه وانتقامَهُ مِنْ أعدائِه الذين كذّبوا رُسُلَه وخالَفُوا أمْرَه لَشديدٌ عظيمٌ قويٌّ، فإنه تعالى ذو القُوَّةِ المَتينُ الذي ما شاءَ كان كما يَشاءُ في مِثلِ لَمْحِ البَصَرِ، أو هو أَقْرَبُ،

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾، أي مِن قُوَّتِهِ وقُدْرَتِهِ التامَّة: يُبْدِئُ الخَلْقَ ويُعِيدُهُ كما بَدَأَهُ بِلا مُمَانِعٍ ولا مُدافِعٍ.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ أي يَغْفِرُ ذَنْبَ مَن تابَ إليه وخَضَعَ لدَيْهِ، ولو كانَ الذنْبُ مِن أيّ شيءٍ كانَ، و﴿ٱلْوَدُودُ﴾ قال ابنُ عباسٍ وغيرُه: هو الحَبيبُ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾، أي صاحِبُ العَرْشِ العَظيم العالي على جميع الخلائِق. و﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ فيه قِراءتان: الرَّفْعُ على أنه صِفَةٌ لِلَّهِ ﷻ، والجَرُّ على أنه صِفَةٌ لِلعَرْشِ، وكِلَاهُما مَعْنًى صَحِيحٌ.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾، أي مهما أرادَ فِعْلَهُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ و ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لِعَظَمَتِهِ وَقَهْرِهِ وحِكْمَتِهِ وعَدْلِهِ، بَلْ لا يوجَدُ مَن يَسْأَلُه فهو العظيمُ الماجِدُ ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾؛ لأنهم تحت قهره وسلطانه وحُكْمِهِ، وروي عن الخليفة الراشِد أبي بكر الصديق ﷺ، أنه قيلَ له وهو في مَرَض المَوْت: هل نظر إليكَ الطبيب؟ قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي: إني فَعَّالٌ لما أريدُ.

ثم قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ أي هل بَلَغَكَ ما أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ البأسِ، وأَنْزَلَ عليهم مِن النِقْمَة التي لم يرُدَّها عنهم أحَدٌ؟ وهذا تقريرٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ أي إذا أَخَذَ الظَالِمَ أَخَذَهُ أَخْذاً أليماً شَديداً أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ. أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» بسنده إلى عمرو بن ميمون قال: «مَرَّ النبيّ ﷺ على امرأةٍ تقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ فقامَ يَسْتَمِعُ، فقال: «**نَعَمْ قد جاءَني**».

ثم قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ أي هُمْ في شَكٍّ وَرَيْبٍ وكُفْرٍ وعِنَادٍ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ أي قادِرٌ عليهم، قاهِرٌ لا يَفُوتُونَهُ ولا يُعْجِزُونَه.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ أي عَظِيمٌ كريمٌ. أخرج الخَطّابيُّ في «غريب الحديث» بسنده إلى السَيِّدَة عائشة أم المُؤمِنِينَ ﵂: (أنها قالت لِمَوْلَاتها: «نَاوِليني المَجِيد»، أي المُصْحَف. ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ أي: هو في الملأ الأعلى محفوظٌ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل، ومِنَ الأَيادِي أن تتلاعَبَ به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9]، فاللَّهُ تبارك وتعالى هو المُتَكَفِّلُ بحفظه في السماءِ والأرض عن أن تَتَلاعَبَ به الأَيْدي،

لا كما يَظُنّ البعضُ مِن شياطين الجن والإنس، أنهم يمكنهم التلاعُبُ بكتابِ اللَّهِ، فهو مَحْفُوظٌ في السماء في اللَّوْح، محفوظٌ في الأرض في المصاحِف، مَحْفُوظٌ في صُدورِ المُؤمنين. أخرج البَغَويُّ في «تفسيره»، بسنده إلى ابن عباس قال: «إنَّ في صَدْرِ اللَّوْحِ: لا إلٰهَ إلّا اللَّهُ وَحْدَهُ، دِينُهُ الإسلامُ، ومحمَّدٌ عَبْدُه ورَسُولُهُ، فَمَنْ آمَنَ باللَّهِ وصَدَّقَ بِوَعْدِهِ واتّبَعَ رُسُلَهُ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ، قال: واللَّوْحُ دُرَّةٌ بَيْضاءُ طولُه ما بين السَماءِ والأرض، وعَرْضُه ما بين المَشْرِقِ والمَغْرِب، وحافتاه مِنَ الدُرِّ والياقوت، ودَفَّتاهُ ياقوتَةٌ حَمْرَاءُ، وقَلَمُهُ نورٌ، وكَلامُه مَعْقُودٌ بالعَرْشِ، وأصله في حِجْرِ مَلَك».

أثر هٰذا الاسم على العَبْد

إنّ مَن عَلِمَ أن المَجْدَ لِلَّهِ وَحْدَه لا شريكَ له، والتَعْظِيمَ له وَحْدَه، قَدَّمَ له وحده الطاعةَ، وخَضَعَ لِعَظَمَتِهِ ومَجْدِهِ، وانْقَادَ لِرَبِّهِ طائعاً مُختاراً، عن مَحَبَّةٍ وإجلالٍ وتعظيم، لِعِلْمِهِ بأنَّه الرَّبُّ المَعْبُودُ مالِكُ المُلكِ، وأنّ ما سِوَاهُ مِن الكائناتِ مَخْلُوقٌ له، مَمْلُوكٌ له، فقيرٌ له في وجودِه وإمْدادِهِ، حَقيرٌ ذليلٌ بين يديه، ولم يُمَجِّدْ أحداً سِوَاه؛ لأن الجميعَ خاضع لقهره وسلطانه وأمره.

أمّا ما يفعله بعض المسلمين اليوم، مِن الخَوْفِ من أعداء اللَّهِ، والرَهْبَةِ منهم، والخضوعِ لسلطانهم، والانتماء لمحافلهم وجمعيّاتهم وتقديم الولاء والطاعة لهم، بل وتمجيدهم وتعظيمهم، فهو من ضَعْف إيمانهم قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [النساء: 138، 139].

71 ــ المَجيدُ

معناه

صِيغَة مُبالَغَة للماجد. ومعناهما واحد. قال اللَّهُ تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: 73]. وقد ورد هٰذا الاسم في موضعين مِن القرآن الكريم الأول، هٰذا المذكور، والثاني قوله

تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: 15]، كما ورد في الحديث الشريف الجامع لأسماء الله الحسنى.

أقوال العلماء في تفسيره

يقولُ الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المَقصِد الأَسْنَى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (المَجيدُ هو الشَّريفُ ذاتُه، الجَميلُ أفعالُه، الجَزيلُ عَطاؤه ونوالُه، كما أَنَّ شَرَفَ الذاتِ إذا قارنه حُسْنُ الفِعالِ سُمِّيَ: مَجْداً، وهو الماجِدُ أيضاً، ولكنّ أحَدَهما أَدَلُّ على المُبالَغَة، وكأنما يَجْمَعُ مَعْنَى اسم الجَليلِ والوَهّابِ والكَريمِ).

وقال مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى: المَجيدُ، المَجْدُ في كلامِ العَرَب: الشَّرَفُ الواسِعُ، والمَجِيدُ: (فَعيلٌ) من ماجد للمبالغة. وقيل: هو الكريمُ الفِعَال. وقيل: إذا قارَن شَرَفُ الذاتِ حُسْنَ الفِعالِ، سُمِّي مَجْداً، و(فعيل) أبلغ من (فاعل) فكأنه يجمع معنى الجليل، والوَهَّاب، والكريم).

ومنه الحديث المتَّفق عليه: «أنهم قالوا: قد علمنا السلامَ عليكَ فكيفَ الصلاةُ عليك يا رسول الله؟ قال: قولوا: «**اللهمَّ صَل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على آل إبراهيمَ، إنك حميدٌ مَجيدٌ**».

أقوال المفسّرين

يَقول الله تعالى في مُحكَم كتابهِ الكَريم: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: 69 ـ 73].

يقولُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ وهم الملائكةُ ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ قيلَ: تُبَشِّرُه بإِسْحَاقَ، وقيلَ: بهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ، ويَشْهَدُ للأَوَّلِ قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ [هود: 74]، ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾، أي عليكم، قال عُلماءُ البَيانِ: هٰذا أحسنُ مِمّا حَيَّوْهُ به؛ لأنَّ الرَّفْعَ يَدُلُّ على الثُبوتِ والدَّوَام ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾، أي ذَهَبَ سَريعاً فأتاهُم بالضِيافَةِ، وهو عِجْلٌ فَتَى البَقَر ﴿حَنِيذٍ﴾ مَشْويٌّ على الرَّضْف، وهي الحِجَارَةُ المُحَمَّاةُ، هٰذا معنى ما رويَ عن ابن عباس، وقتادَة وغير واحِدٍ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: 26، 27]، وقد تَضَمَّنتْ هٰذه الآيةُ آدابَ الضِيافَةِ مِن وُجُوهٍ كثيرة.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ تنكَّرَهُم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، وذلك أن الملائكةَ لا هِمَّةَ لهُم إلى الطَعَام ولا يَشْتَهُونَه ولا يأكلونه، فلهٰذا رأى حالَهُم مُعْرِضينَ عَمّا جَاءَهُمْ به فَارِغِينَ عنه بالكُلِّيَّةِ، فعند ذلك نكِرَهُم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، قالَ السُدِّيُّ: لمّا بَعَثَ اللَّهُ المَلائِكَةَ لِقَوْمِ لُوطٍ أَقْبَلَتْ تَمْشِي في صُوَرِ رِجَالٍ شُبّانٍ حتى نزلوا على إبراهيم فَتَضَيَّفُوهُ، فلمّا رآهُم أَجلَّهم ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الذاريات: 26]، فذبحه ثم شَواهُ في الرَّضْفِ وأتاهُم به، فَقَعَدَ معهم، وقامَتْ سَارَةُ تَخْدُمُهُم، فذلك حين يقولُ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾، وهو جالسٌ في قراءة ابن مَسْعُودٍ: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ قالوا: يا إبراهيم! إنا لا نأكل طعاماً إلا بِثَمَنٍ، قال: فإنَّ لهٰذا ثمناً، قالوا: وما ثَمَنُه؟ قال: تذكرون اسْمَ اللَّهِ على أوَّلِه، وتَحْمَدُونَهُ على آخره. فنظر جبريلُ إلى ميكائيلَ فقال: حُقَّ لهٰذا أن يَتَّخِذَه ربُّه خليلاً. ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ يقولُ: فلما رآهم لا يأكلون فَزِعَ مِنْهُمْ وأوْجَسَ مِنْهم خِيفَةً، فلما نَظَرَتْ سارَةُ أنه قد أكرمَهُم، وقامَتْ هي تَخْدِمُهُم ضَحِكَتْ وقالت: عَجَباً لأَضْيافِنا هٰؤلاء، نَخْدِمُهُم بأَنْفُسِنا كرامَةً لَهُم وهم لا يأكلون طعامنا! ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ مِنّا ﴿إِنَّآ﴾ مَلائِكَةٌ ﴿أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لِنُهْلِكَهُم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سارَةُ اسْتِبْشاراً بهلاكهم لكثرة فسادِهم وغِلَظِ كُفْرِهِم وعنادهم، فلهٰذا جُوزِيَتْ بالبِشارَة بالولد بعد الإيَاس، وقال قتادَةُ: ضَحِكت وَعجِبَتْ أنَّ قَوْماً يأتيهمُ العَذابُ، وهُمْ في غَفْلَةٍ.

وقوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: ضَحِكَتْ أي حاضَتْ. وقال وهَبْ بن مُنَبِّه: إنما ضَحِكَت لما بُشِّرَتْ بإسحاق، وهٰذا مخالف لهٰذا السِيَاق، فإن البِشَارَة صَرِيحَةٌ مُرتَّبَةٌ على ضَحِكِها ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، أي بِوَلَدٍ لها يكونُ له وَلَدٌ وَعَقِبٌ ونَسْلٌ، فإنّ يَعقوبَ وَلَدُ إسحاقَ، كما قال في آية البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 133]، ومِن هنا اسْتَدَلَّ مَن اسْتَدَلَّ بهٰذه الآية على أن الذَبيحَ إنّما هو إسماعيلُ، وأنه يَمْتَنِعُ أنْ يكونَ هو إسحاقَ؛ لأنّه وقَعَت البِشَارَةُ به، وأنه سَيُولدُ له يعقوب فكيف يُؤْمَر إبراهيم بِذَبْحِه، وهو طِفْلٌ صَغيرٌ، ولم يولد له بعدُ يعقوبُ المَوْعُود بوجودِهِ، ووَعْدُ اللَّه حَقٌّ لا خُلْفَ فِيه، فَيُمْتَنَعُ أنْ يُؤْمَرَ بذَبْحَ هٰذا والحالةُ هذه، فَتَعَيَّن أنْ يكونَ هو إسماعيل، وهٰذا مِن أَحْسَنِ الاستدلال وأصَحِّه وأبيَنِهِ وللَّهِ الحمدُ، ويضاف إليه قوله ﷺ: «**أنا ابن الذَّبيحَيْن**» (أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٤) يعني: إسماعيل وأباه عبد الله.

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴿٧٢﴾﴾ حكى قولها كما جرت عادة النِساءِ في أقوالهن وأفعالهن عند التَّعجُّب.

﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، أي قالت الملائكةُ لها: لا تعجبي من أمْرِ اللَّه، فإنه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فلا تعجبي مِن هٰذا، وإن كنتِ عَجُوزاً عقيماً وبَعْلُكِ شَيْخاً كَبيراً، فإنَّ اللَّهَ على ما يَشاءُ قديرٌ ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ أي هو الحَميدُ في جميع أفْعالِهِ وأقواله، مَحْمُودٌ مُمَجَّدٌ في صِفاتِهِ وذاتِه.

72 ــ ذو الجلال والإكرام

معناه

أي هو الذي لا شرف ولا جَلالَ ولا كمالَ ولا مَجْدَ ولا حَسَبَ إلَّا وهُوَ له سُبْحَانَه، كما لا إكرامَ ولا عطاءَ ولا هِبَةَ إلا وهي صَادِرَةٌ منه تعالى. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: 26، 27].

وقد ورد هٰذا الاسم في موضعين مِن القرآن الكريم لا غير، هٰذا المتقدم، والآخرُ في السورة نفسها قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمٰن: 78].

أقوال العلماء في تفسيره

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه: «المَقصِد الأسنى في شَرْح أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى»: (ذو الجلالِ والإكرام هو الذي لا جَلالَ ولا كمالَ، إلّا وهو له، ولا كرامَةَ ولا مَكرُمَةَ إلّا وهي صادِرَة منه، فالجَلالُ له لِذَاتِهِ، والكرامَةُ فائِضَةٌ منه على خلقه، وفُنُونُ إكرامِهِ خَلْقَه لا تكادُ تَنْحَصِرُ وتَتَناهَى، وعليه دلَّ قولُه تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: 70].

ويَقول الإمام المحدِّثُ اللغويُّ مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النِهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى: «ذو الجَلالِ والإكرام» الجَلَالُ: العَظَمَةُ، والإكرامُ الجامِعُ لأَنْوَاعِ الخير والشرف والفضائل.

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الدعوات من «جامعه»، باب (92)، الحديث: (3524) و(3525)، والإمام أحمد في «مسنده» (4/ 677): «**أَلِظُّوا بِياذَا الجَلالِ والإكرام**»، أي الزَمُوه واثبتُوا عليه، وأَكثِرُوا مِنْ قوله والتَلَفُّظِ به في دُعائِكم. يقال: أَلَظَّ بالشيء يَلِظُّ إلظاظاً إذا لَزِمَهُ وثابَر عليه.

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (5/ 199) بسنده إلى أبي الدرداء ﷺ: «**أَجِلُّوا اللَّهَ يَغْفِرْ لَكُم**» أي قولوا: يا ذا الجَلالِ والإكرام، وقيل: أراد عَظِّمُوه، وجاء تفسيره في بعضِ الروايات، أي أَسْلِمُوا).

أقوال المفسِّرين

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمٰن: 62 ـ 78].

أَخْبَرَ اللَّهُ قبلَ هٰذا فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، ثمَّ قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، فهاتان الجنَّتان دون اللتَيْن قبلهما في المرْتَبَةِ والفَضِيلَةِ والمَنزِلَة بِنَصِّ القرآنِ، وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي في «جامعه» بسنده إلى أبي موسَى الأشْعَرِي في قوله تعالى قال: «جَنَّتانِ من ذَهَبٍ لِلمُقَرَّبينَ، وجَنَّتانِ من وَرَقٍ ـ أي فِضَّة ـ لأصحاب اليَمين»، وقال ابنُ عباسٍ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ مِن دونِهما في الدَرَج. وقال ابن زيد: مِن دونهما في الفضل.

وقوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ أي سَوْدَاوان مِن شِدَّةِ الرِيّ من الماء. قال ابن عبّاس في قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ قد اسْوَدَّتا مِن الخُضْرَةِ مِن شِدَّةِ الرِيّ من الماءِ، وقال كعب: مُمْتَلِئَتانِ من الخُضْرَةِ.

وقوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ أي ممتلئتان ولا تَنْقَطِعَان فَيَاضَتان.

وقوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ أفْرَدَ النَخْلَ والرُمَّانَ بالذكر لشرفهما على غيرهما. أخرج عبد بن حُمَيْد في «مسنده» بسنده إلى عمر بن الخطاب، قال: جاءَ أُناسٌ مِن اليهودِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالوا: يا محمّد! أفي الجنَّة فاكِهَةٌ؟ قال: «**نَعَمْ، فيها فاكهة ونَخْلٌ ورُمَّانٌ**». قالوا: أفيأكُلُونَ كما يأكُلُونَ في الدنيا؟ قال: «**نَعَم وأضعافَ**»، قالوا: فَيَقْضُونَ الحوائِجَ؟ قال: «**لا ولكنّهم يَعْرَقُون ويَرْشَحُونَ فَيُذْهِبُ اللَّهُ ما في بُطونهم مِن أذى**». وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» بسنده إلى ابن عباس قال: «**نَخْلُ الجنَّةِ سَعْفُها كِسْوَةٌ لأَهْلِ الجَنَّةِ، منها مقطعاتهم، ومنها حُلَلُهُم، وكربها ذَهَبٌ أحْمَرُ، وجُذُوعُها زُمُرُّدٌ أَخْضَرَ، وثمرها أحلى مِن العَسَل، وأَلْيَنُ مِن الزُبْدِ، وليس له عُجْمٌ**». وأخرجه بسنده إلى أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «**نظرتُ إلى الجَنَّةِ فإذا الرُمَّانَةُ مِنْ رُمَّانِها كالبَعِيرِ المُقَتَّبِ**»، أي المشدُودَةِ عليه أقتابُه، أي أحمالُه، شبَّهها به لِعِظَمها.

ثم قال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ قيل: المُراد خَيْراتٌ كثيرة حَسَنَةٌ في الجَنَّة؛ قاله قتادَة. وقيل: ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ جَمْع: خَيِّرة، وهي المرأةُ الصالِحَةُ الحَسَنَةُ الخُلُقِ، الحَسَنَةُ الوجه؛ قاله الجمهور: ورُوِيَ مَرْفوعاً عَن أُمِّ سَلَمَة ﷺ. وهُنَّ الحُورُ كما فسّرتها الآية التي تليها.

ثم قال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» بسنده إلى عبد الله بن مسعود، قال: إن لكل مسلم خَيِّرةٌ، ولكل خَيِّرَةٍ خَيْمَةٌ، ولكل خَيْمَةٍ أربعة أبواب يُدخِلُ عليها كلَّ يوم تُحْفَةً وكرامَةً وهَدِيَّةً لم تكن قبل ذلك، لا مَرِحَاتٌ ولا طَمِحَاتٌ، ولا بَخِراتٌ ولا ذَفِراتٌ، حورٌ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ. وأخرج البخاري في «صحيحه» بسنده إلى أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«إنّ في الجنَّةُ خَيمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ، مُجَوَّفَةٍ عَرْضُها سِتّون ميلاً في كل زاويَةٍ منها أهْلٌ ما يَرَوْنَ الآخرين، يَطوفُ عليهم المؤمن»**.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤﴾ أي بَلْ هُنَّ أَبْكَارٌ عُرُبٌ ـ جمعُ عَرُوبَة وهي المُتَحَبِّبَة إلى زوجها ـ لم يَطأْهُنَّ أَحَدٌ قَبْلَ أزواجِهِنَّ من الإنس والجن.

وقوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾ قال الحسن البصري: الرَّفْرَفُ الوسائِدُ، والعبقريّ بُسُط أهل الجنة. وقال مجاهد: العَبْقَرِيّ الديباج.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ أي هُوَ أَهْلٌ أن يُجَلَّ فلا يُعْصَى، وأن يُكَرَّمَ فَيُعْبَدَ، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَرَ، وأن يُذكَرَ فلا يُنْسَى. وقال ابنُ عباس: ذي العظمة والكبرياء.